العلة التي بها سمي كلامه امرا وكذلك القول في تسميته نهيا وخبرا وانكروا ان يكون الباري
لم يزل مخبرا وكذلك لم يزل ناهيا فهذه حكاية الاشعري عن ابن
كلاب انه يقول ان الله لم يزل متكلما وان كلامه صفة له قائمة به كعلمه وقدرته و
كذلك ساير الصفات التي تثبتها لله تعالى هي عنده قديمة قائمة بالله غير متعلقة
بمشيئته وقدرته واما الجهمية المحضة من المعتزلة وغيرهم فعندهم لا يقوم به شيء من هذه
الصفات ولا غيرها بل كل ما يضاف اليه فانما يعود معناه الى امر مخلوق منفصل
عنه كما قالوا في الكلام ولما قال اولئك لهؤلاء ان الحروف لا تكون الا متعاقبة ولابد لها
من مخارج وكلاهما يمنع قدمها قال لهم هؤلاء هذا بعينه وارد في المعنى فان المعاني
مطابقة للحروف في الترتيب وهي مفتقرة الى محل كافتقار الحروف فما قيل في احدهما
قيل في الاخر ولما زعم اولئك ان الكلام كله هو معنى واحد قال هؤلاء ان جاز ان
يعقل ان المعاني المتنوعة تعود الى حرف واحد جاز ان يعقل ان الحروف المتنوعة تعود الى
حرف واحد وقالوا لهم ايضا الترتيب نوعان ترتيب ذاتي وترتيب وجودي فالاول
كترتيب العلم على الحياة والمعلول على العلة التامة وهولاء الذين فسروا قولهم بانه غير
مخلوق بانه لا يتعلق بمشيئته وقدرته سواء قالوا انه معنى او هو حروف او هو معنى و
حروف يقولون ان المخلوق هو المحدث وهو ما يحدثه الله تعالى منفصلا عنه وانه ما ثم
الا قديم او مخلوق وما كان قديما فانه لازم لذات الله تعالى لا يتعلق بمشيئته وقدرته
ولا يكون فعلا له وما كان محدثا فهو المخلوق المنفصل عن الله تعالى وهو المتعلق بمشيئته
وقدرته ولا يقوم عندهم بذات الله فعل ولا كلام ولا ارادة ولا غير ذلك مما يتعلق
بمشيئته وقدرته ويقولون لا تحل الحوادث بذاته ولا يجوز عليه الحركة ولا فعل حادث و
لا غير ذلك وهولاء يتاولون كلما ورد في الكتاب والسنة مما يخالف ذلك وهو كثير
جدا كقوله ثم استوى على العرش ثم استوى الى السماء وكما وصف به نفسه من المجيء و
الاتيان والنزول وغضبه يوم القيامة ورضاه على اهل الجنة وتكليمه لموسى وللعباد
يوم القيامة وتكلمه بالوحي اذا تكلم به سمعته الملايكة وهولاء جميعا يحتجون على قدم

القران

القران بحجتهم المشهورة التي هي اصل المذهب التي احتج بها الاشعري واصحابه والقاضي ابو يعلى و
ابن عقيل وابو الحسن بن الزاغوني وغيرهم وهي التي تقدم ذكرها في بيان اصول الطايفة
الاولى عن ابي المعالي لانه اعتقد انه صاغها على وجه يدفع بها بعض الاسئلة وقد ذكرنا ذلك
وبينا انه بناها على امتناع حلول الحوادث به ونحن نذكرها هنا كما ذكرها هولاء فان
هذا مشهور في كلامهم كلهم وقد اعترف اصحاب الاشعري ان هذه الطريقة هي عمدته وعمدة
غيره من ايمتهم كالقاضي ابي بكر وابي اسحق وابن فورك على قدم الله وابي منصور على قدم الكلام
قال لو كان كلام الباري حادثا لم يخل من ان يقوم بذات الباري تعالى فيكون محلا للحوادث
او بمثابة الجواهر او يحله لا في محل وذلك محال لانه يودي الى ابطال التفرقة بين ما يقوم
بنفسه وبين ما لا يقوم بنفسه على ان في نفس المحل نفي اختصاصه اذ ليس اختصاصه
به جانه اولى من اختصاصه بغيره وان حدث في محل اخر وقام به كان كلاما لذلك المحل
وكان المحل به متكلما امرا ناهيا لان كل قايم بمحل اختص به اختصاصا يجب ان يضاف
اليه عند العبارة باخص اوصافه يشتق له او للجملة التي المحل منها وصف منه اما من
اخص وصف او اعم اوصافه او من معناه او يصح اضافته اليه باخص وصفه فاذا لم يكن لذلك
بطل ان يخلق كلامه في محل واذا بطلت هذه الاقسام بطل كونه حادثا وقال طايفة منهم
القاضيان ابو علي بن وابو يعلى وابن عقيل وابو الحسن الزاغوني وهذه لفظه قال
والطريقة الثانية المعقول وفيه ادلة فنذكر منها الجلي من معتمداتها من ذلك نقول لو كان كلام
الله مخلوقا لم يخل ان يكون مخلوقا في محل او لا في محل فان كان في محل فلا يخلو ان يكون محله
ذات الباري سبحانه او ذات غير ذاته مخلوقة ومحال ان يكون خلقه الله في ذاته لان ذلك
يوجب كون ذاته تعالى محلا للحوادث وهذا محال اتفقت الايمة قاطبة على احالته و
محال ان يكون في محل هو ذات غير ذاته تعالى لان ذلك يوجب ان يكون كلاما لتلك
الذات ولا يكون كلاما لله تعالى ولانه لو جاز ان يكون كلاما لله تعالى يقال له كلامه و
صفته جاز ان يقال مثل ذلك في ساير الصفات مثل الكون واللون والحركة والسكون و
الارادة الى غير ذلك من الصفات وهذا مما اتفقنا على بطلانه ومحال ان يكون خلقه
لا في محل من جهة ان الكلام صفة والصفات لا بد لها من محل تقوم به ولو جاز ان يقال
كلام الله لا في محل لجاز ان يقال ارادة وحركة وشهوة وفعل ولون لا في محل وهذا مما

Copyright © King Saud University